**المحاضرة الثانية**

**تعريفات الأدب الشّعبي: ما الأدب الشّعبي؟**

1. **عند د/حسين نصار1 :**

يعدّ أوّل من استعمل مصطلح الأدب الشّعبي وأخذه عليه غيره، في كتابه الشعر الشّعبي العربي على أنّه «الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة، المتوارث جيل بعد جيل، بالرواية الشفوية»2.

يحتوي هذا التعريف على أربعة شروط للمصطلح هي:1/ جهل المؤلف. 2/ اللغة العامية. 3/ التوارث جيل بعد جيل. 4/ الرواية الشفوية.

ويقرّ الدكتور أنّه أخذ التّعريف من الغرب، من كلمة "فلكلور" "FOKLORE" إذ يقول: «الغربيون تنبّهوا إلى هذا المفهوم، وأعطوه اسمه – يعني لفظ فلكلور- ثمّ استعرنا نحن هذا المفهوم، وأعطيناه اسما عربيا »3 يعني الأدب الشّعبي.

**مناقشة التعريف:**

هذا التّعريف الذّي رضي به نقاد العرب والأدباء على حدّ سواء، لم يسلم من

النّقد لدى البعض القليل منهم، وناقشوه مفصّلا ومجزّأ، وننقل لكم نقدهم:

1/ **جهل المؤلِّف:** بكسر اللام، هناك كثير من القصائد العربية الفصيحة لا نعرف أصحابها حقيقة بل تُعْزَى فقط، كما هناك كثير من الأدبيات الشّعرية العربية الفصيحة اختلف النّقاد والمؤرّخون للأدب العربي في نسبتها. وعلى سبيل المثال لا الحصر بعض الأبيات المستشهد بها في علوم النّحو والصّرف والبلاغة والعروض.

فهل جهلنا للمؤلّف يبيح لنا أن نجعل هذه القصائد والأبيات ضمن الأدب الشّعبي؟

بالطّبع تقولون لا. ونحن نعلم يقينا أنّها كانت ولا تزال من الأدب العربي الفصيح.

2/ **اللغة العامية:** هي اللّغة العربية التّي فقدت الإعراب والصّرف في نطقها. وهي التّي يتكلّمها العامّة جميعا، لغة الأمّي والمتعلّم أي لغة كلّ الفئات الاجتماعية على اختلاف مكانتها في المجتمع الجزائري، وتحمل بعض الاختلافات لهجيّة تعود أساسا إلى الموقع الجغرافي، لذا نسمع كثيرا هذه العبارة "كيش تقولوا لها أنتم" في كلامنا اليومي حين نسافر أو ننتقل من الشّرق نحو الغرب أو من الشّمال نحو الجنوب وتداهمنا عبارة أو كلمة توقف التّواصل بيننا، فهذا الاختلاف في العاميّة هو ما نسمّيه لهجة، وعليه هي تنوّع للعاميّة. ويعرّفها "جون ديبوا" – J.Dubois- وآخرون بقوله:

»Le dialecte est une forme d’une langue qui a son système lexical, syntaxique et phonétique propre est qui est utilisé dans un environnement plus restreint que la langue elle-même. »4

« اللّهجة شكل من أشكال لغة ما، لها نظام خاصّ على المستوى المعجمي، والتّركيبي والصّوتي، وتستعمل في محيط ضيّق بالمقارنة مع تلك اللّغة نفسها».

وكانت هذه اللّهجات المادّة الطبيعية للأدب الشّعبي، وبتنوّعها المعجمي تنوّع أدبها شعرا ونثرا. وتفرعت منها الأنواع الأدبيّة كلّها.

3/ **التّوارث جيل بعد جيل:** هذا الرّكن أو الشّرط في تعريف الأدب الشّعبي محلّ تأمّل ومناقشة، إذ يقتل الأدب الشّعبي الحديث أو المعاصر كلّه. ونقول لصاحبه أنت لست أديبا شعبيّا إلا بعد قرون حيث يتوارث أدبك أجيال. أيعقل هذا؟ لم يسلم هذا

وأنبه بالمناسبة إلى أنّ الدكتورة سهام مادن في كتابها النفيس والجديد في موضوعه، الموسوم بـ: الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، في ترجمتها لتعريف اللهجة من القاموس المذكور أعلاه: «اللهجة شكل من أشكال اللغة، لها نظام خاص على المستوى الافرادي...» ص33. فترجمت لفظ –Lexical- بالافرادي، فركبت فيه خلاف الصواب، وتصحيحه: معجمي. ولو قالت على المستوى المفردات لكان أصوب.

العنصر من النّقد حيث يقول الأستاذ الدكتور محمد سعيدي: «... لقد استثنى من فضائه ذلك الأدب العامي المسجل والمذاع عبر وسائل حديثة كالطباعة، الإذاعة، التلفزة، المسرح والسينما... كما أخرج من فضائه ذلك الأدب الشعبي معروف المؤلف، بحيث نسمع ونقرأ يوميا أعمالا شعبية من قصص وحكايات وأشعار لأدباء شعبيين معروفين وحرصين على تدوين أسمائهم واقترانها بأعمالهم الإبداعية...»5 .

وفي الخاتمة الموقّعة على سبيل المثال لا الحصر هي التي يذكر صاحبها اسمه ولقبه وكنيته، أو اسمه ولقبه، أو اسمه كنيته، فهو حر في ذكر ذلك. وهذا ما أشار إليه الدكتور شعيب مقنونيف في قوله:"... وأما توقيع القصائد، الذي يلازمه –حرف الهاء يعود على الشعر الملحون- في الغالب، فيمثل كذلك سمة لدى شعراء الملحون متقدّمين كانوا أم متأخّرين. ويكون التوقيع بالتصريح بالاسم كاملا مع ذكر الكنية..."6 ويستدرك الدكتور مضيفا: " ويكفي بعض الشعراء وهم يوقّعون قصائدهم بالإشارة إلى نسبهم أو قبيلتهم أو موطنهم"7 .

والغاية من ذلك كلّه هو إثبات شخصيته الفنية "على سبيل الافتخار وإظهار البراعة

الشعرية".8 والشاعر يعرف مسبقا أنّ قصيدته ستنتقل من مكان لآخر من أفواه الرواة والحفظة، وانتشارها في الأسواق بين الحُلَق والبيوت حتّى. ولهذا تجده حريصا الحرص كلّه على ذكر اسمه في خاتمة القصيدة أو ما يدلّ عليه بطرق مختلفة.

4/ **الرواية الشفوية:** عرفها الجاهليون قبل الإسلام والراوي عندهم ناقل الحديث بالإسناد كما سمعه شفاها من غير كتابة بأمانة تامة معتمدا على قوة ذاكرته، « أي الذي يخبر المستمعين بما سمعه عن الآخرين، مع ذكر أسماء هؤلاء تأكيدا لصدقه، وتَبرُّؤًا مما قد يؤخذ على الحديث من نقص أو تشويه»9 ويروي حكايات وقصصا وينقل أخبارا من أيام العرب وأخبار القبائل وأمثالهم وقصائد شعرهم. «ولقد كان لكل شاعر من العرب راوية أو رواة، يحفظون أبياته، ويتحولون إلى نوع من الدواوين الحية.»10 وكان الجاهلون يعتمدون الرواية الشفوية في نقل الآثار الأدبية لأنهم كانوا قوما أميين لا يعرفون الكتابة والقراءة إلا عدداً قليل منهم.

ظهرت هذه الرواية كما يفهم مما سبق مع ميلاد الشّعر العربي، بل قبله مع أيام العرب وحروبهم. و بفضل الرّواة الصادقين ظهرت الدواوين الشعرية، وكان لهم فضل كبير في حفظ النصوص الأدبية، وفي تقدم الأدب والعلوم اللغوية. ولعل من أبرز الرواة أبا عبيدة مَعمرَ بنَ المثنى، وأبا سعيد عبد الملك الأصمعي، وابنَ سلاّم الجُمَحيّ، وأبا زيد القرشيّ والمفضل الضبيّ، وغيرهم كثير.

وظهرت الرواية بقوّة بعد مجيء الإسلام واستمرت رواية الشّعر والنّثر في صدر الإسلام واتّسعت الرّواية في العصر الأموي وتجاوزت الأدب إلى رواية قراءات القرآن، كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ومدلول القراءات كما في المعجم المفصل «هي اختلاف قبائل العرب بلحونٍ مختلفة كالفتح، والإمالة، والإظهار، والإدغام، والمدّ، والقصر، وترقيق الحروف، وتفخيمها...»11.

وعددها سبعة تفرعت عنها قراءات أخرى. وكان بعض الصحابة يقرِؤون القرآن منذ عهد النبي منهم رضي الله عنهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وغيرهم.

والرواية الشفهية في نقل الحديث النبوي الشريف والإلمام بطرق أسانيده أشهرها على الإطلاق وهي كل ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير. بل منه ما يسمّى باسم الآثار وهي ما رواه الرواة عن خُلقه أو علمه أو لباسه أو في شأن من شؤونه.

ومما سبق هل يجوز لنا أن نطلق على هذه اسم الأدب الشّعبي لأنها كانت تعتمد على الرواية الشفوية؟

**تطبيقات:**

1. ناقش (ي) هذه العبارة: "الشّعر هو قبل كل شيء هو تصوير لعواطف إنسانية تزدحم بها النّفس الشّاعرة، وتندفع على لسان الشّاعر لحنا خالدا يصوّر صلته بالعالم والكون من حوله." د.شوقي ضيف، الأدب العربي، ص 57.
2. علّق (ي) على عبارة الدّسوقي في كتابة دراسات، ص9 : " الرّواية هي خيالية، منظومة أو منثورة، بعيدة عن الحياة الواقعية، أو هي القصّة الخيالية المليئة بالعجائب والغرائب ذات الأسلوب الإبداعي الطّليق."
3. ما الفرق بين الرّواية – لا نقصد بها الجنس الأدبي- كعلم والرّواية كَفنٍّ.
4. اذكر (ي) أشهر الرّواة للحديث النّبوي الشّريف بالتّرتيب الزّمني.
5. قال ابن خلدون في مقدمته : "أما إفريقيا والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لِوُفور عمرانها بهم،... فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة".

ناقش (ي) العبارة مركزا (ة) على اختلاط اللغات وما ينتج عنه. وظاهرت تداخل اللغات.

**الهوامش**

* 1. د. حسين نصار، الشعر الشعبي، منشورات إقرأ، ط2، 1980، ص11.

كان عميد كلية الآداب بالأزهر الشريف سابقا –رحمه الله-.

3-نفسه، أخذه من قاموس المصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، تأليف إيكه هولترانس- Ake Hultkrantz- 1980. أستاذ علم الأديان المقارن بستوكهولم بالسويد. ترجمة د. محمد الجوهري ود. حسين الشامي، ط1، 1972، دار المعارف بمصر، ص ص 279 وما بعدها.

4-J. Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, Libraire Larousse, 1973, p 149.

5 - سعيد محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص10.

1. شعيب مقنونيف، مباحث في الشعر الملحون (مقاربة منهجية)، منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص130.
2. نفسه، ص132.
3. نفسه، ص134.
4. 10- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، 1984، ص120.
5. د. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العملية، لبنان، ط2، 1999، ص ص 702-703.